جامعة الملك سعود
كلية الآداب
مجلة الآداب
ردمد ٣٦٢٠-١٠١٨

King Saud University
College of Arts
Journal of Arts
ISSN 1018-3620

مجلة الآداب، م٣١، ع٢، ص ص ٨١-١١٠، جامعة الملك سعود، الرياض (٢٠١٩م/ ١٤٤٠هـ)
Journal of Arts, Vol. 31 (2), pp. 81-110 , © King Saud University, Riyadh (2019 /1440H.)

الوظائف العليا في عهد الخليفة العباسي الناصر لدين الله
(٥٧٥- ٦٢٢هـ/ ١١٧٩-١٢٢٥م) دراسة في آليات الاختيار وترتيبات التولية

محمد عبدالله القدحات

الأستاذ المشارك بقسم التاريخ، بكلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة السلطان قابوس، سلطنة عُمـــان

(قُدِّم للنشر في ٣٠/ ١٢/ ١٤٣٩هـ، وقُبل للنشر في ١١/ ٥/ ١٤٤٠هـ)

الكلمات المفتاحية : الناصر لدين الله، عهد التولية، خِلعة، ديوان الخليفة، وزارة.

ملخص البحث: تولَّى الناصر لدين الله الخلافة سنة ٥٧٥هـ/ ١١٧٩م، وكان توليه علامة فارقة في تاريخ الدولة العباسية خلال هذه الحقبة، فقد استطاع إنجاز مشروع تحرر الخلافة العباسية من تبعات السيطرة الأجنبية، ذلك المشروع الذي بدأه المسترشد وأكمل جزءًا منه المقتفي. قامت سياسة الناصر على إصلاح البيت الداخلي- دار الخلافة- من خلال كفّ يد كبار رجال الدولة ومنعهم من التدخل بمقدرات الخلافة وصلاحيات الخليفة، كانت الخطوة الأولى في سبيل ذلك تخلص الناصر من كبار رجال دولته الذين ورثهم من جملة تركة والده المستضيء، ثُمَّ بدأ سياسة داخلية واضحة المعالم كانت آليات اختيار رجال الدولة وكبار الموظفين أبرز معالمها، وقد قامت سياسة الناصر في اختيار كبار رجال دولته على الولاء المطلق المقرون بالكفاءة الإدارية؛ لذا نجد أنَّ الكثير ممن تولى المناصب العليا لم يكونوا من الفئة الخاصة، بل كانت قدراتهم هي التي أهلتهم لذلك.

كما شهدت هذه الحقبة اهتمام مؤسسة دار الخلافة في إعادة ترسيخ مراسيمها، ومنها تولية كبار رجالات الدولة، وكان ذلك سببًا في إعادة تفعيل عمل " دار التشريفات" التي تتولى الإشراف على ترتيبات تلك المراسيم في دار الخلافة. كانت الترتيبات تستدعي أن يتوجه أصحاب المناصب: الوزير وقائد الجيش وأمير الحج إلى دار الخلافة، حيث تجري مراسيم توليتهم أمام حجرة الخليفة، بعد مشافهتم بالتولية. أمَّا أصحاب المناصب الأخرى: قاضي القضاة والمحتسب وشيخ الشيوخ، وأمراء المدن وكبار قادة الجند، إضافة إلى زعماء أهل الذمة من اليهود والنصارى فكانت تجري مراسيم تعيينهم في دار الوزارة بعد أن يشافههم الوزير بأمر الخليفة بتوليتهم.

Senior Positions in the Reign of Caliph Al-Nasir (575-622 H/1179-1225 AD): A Study in the Mechanisms of Selection and Appointment

Mohammed Abdullah Alqadahat

Associate Professor, Department of History, Faculty of Arts and Social Sciences, Sultan Qaboos University

(Received 30/12/1439; Accepted for publication 11/5/1440H)

Keywords: Al-Nasir Ladin Allah, the reign of Tawliah, Khala, Diwan of the Caliphate, Ministry.

Abstract: Al-Nasir became a Caliph in (575 H/1179 AD) and that was a milestone in the history of the Abbasid state. He was able to complete the project of emancipation from foreign dominance; the project that was initiated by Al-Mustarshid then partially completed by Al-Muqtafi. Al-Nasir's policy was based on inner reform -Dar Al-Khilafah- by stopping senior statesmen from interfering with the caliphate and powers of the caliph. One of his initial procedures was disposal of the senior officials who were part of the legacy of his father, Al-Mustadi'. Then, he began a long-term internal policy, clearly defined, which was based on determining the conditions and criteria of selecting senior statesmen officials.

In this regard, the caliphate re-established the ceremonies and arrangements of appointing, through activating the role of Dar Atashreefat which supervised all details in Dar Al-Khilafah. The importance of the position and the appointed person necessitated suitable arrangements. Prominent positions with political nature or direct contact with the Dar Al-Khilafah had arrangements at Dar Al-Khilafah. These include: Minister, Commander of Army and senior officials of Dar Al-Khilafah such as Ustath Addar and Hajib Al-Hujjab, where the appointed person was summoned to Diwan Al-Khalifah. After verbally appointed, the person was given Khil'ah at the door of "Al-Hujrah Al-Shareefah". Other position holders were appointed and rewarded at Dar Al-Wizarah. These include: Qadhi Al-Qudhah, Sheikh Al-Shyoukh, Al-Muhtasib, cities princes, and senior commanders of army, as well as leaders of the Dhimmis of Jews and Christians.

المقدمة

أسهمت التطورات السياسية التي حلّت بالدولة السجلوقية في أواخر عهدها في استعادة الخلافة العباسية للكثير من نفوذها، فبعد وفاة السلطان السلجوقي ملكشاه (ت ٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م)، تفككت الدولة السلجوقية، وبدأت عوامل الضعف والانهيار تدبُّ في أوصالها، حيث حلَّ الخصام بين أبنائه وإخوته وأحفاده؛ مما أضعف سيطرة الدولة السلجوقية على مختلف أقاليمها.

استغل الخلفاء العباسيون وعلى رأسهم الخليفة المقتفي ٥٣٠ -٥٥٥هـ / ١١٣٥-١١٦٠م تلك التطورات لصالحه (ابن الجوزي ١٩٩٥: ج١٨، ص٩٦). في الوقت نفسه انتهج المقتفي سياسة داخلية حكيمة كانت في مجملها تهدف إلى إعادة اللحمة بين مؤسسة الخلافة ورعيتها من جديد[1] (ابن الجوزي ١٩٩٥: ج١٧، ص٣١٥)؛ لكن الاستقلال الحقيقي تحقق على يد الخليفة الناصر لدين الله ٥٧٥-٦٢٢هـ/ ١١٧٩-١٢٢٥م فقد كان عهده تتويجًا لجهود من سبقه من الخلفاء، فتخلَّص من بقايا النفوذ السلجوقي، ففي عام ٥٨٣هـ / ١١٨٧م أرسل السلطان طغرل بك الثالث خطابًا إلى الخليفة يطلب منه إعادة إعمار دار السلطنة ببغداد؛ ليسكنها إذا وصل إلى بغداد. كانت لغة التهديد واضحة في الخطاب، ولكن كان رد الناصر أقسى، فأصدر أومره بهدم الدار وتسويتها بالأرض (ابن الأثير ٢٠١٠م: ج١٠، ص٤٤؛ Levy, 1979 :P225).

رافق ذلك رغبة الخليفة الناصر في إعادة الحياة إلى دار الخلافة العباسية بإعادة إظهارها كمركز لإدارة الدولة العباسية، وأنَّ أقاليمها التي تحكم من لدن أمراء وسلاطين ما هم إلا نواب عنه، لا سيما أنَّ حكام تلك الأقاليم، أخذوا يستشعرون في تلك المرحلة بعودة الحياة والقوة من جديد للخلافة ببغداد، فعادوا من جديد إلى طلب التقليد وخلع التولية من الخليفة العباسي لإضفاء الشرعية على حكمهم (ابن واصل ١٩٥٧م: ج٥، ص٣٥٠؛ الذهبي، ٢٠٠٣: ج١٣، ص٦٣٧).

لذا نجد الناصر يتبع سياسة إعادة بناء الجبهة الداخلية لدولته، وفرض هيبة الدولة من جديد في المحيط(العراق) قبل التوجه لفرض النفوذ على الأقاليم الأخرى. كان الإصلاح الإداري أفضل وسيلة لتحقيق تلك المعادلة، فمن خلال حسن اختيار رجال دولته، يستطيع تنفيذ سياسته الداخلية للنهوض بالخلافة من جديد.

مشكلة الدراسة ومحاورها والمنهج المتبع

تنبع مشلكة الدراسة من أثر الأوضاع السياسية التي شهدها عهد الخليفة الناصر لدين الله في سياسته

(١) للمزيد عن جهود الخلفاء العباسيين في سبيل استعادة نفوذهم وسيطرتهم: (Rashad, 1963, p22-63) .

الاستقلالية والتي بذل لأجل تحقيقها جهودًا كبيرة في مجالات عدة، كان اختيار كبار موظفي الدولة أحد خطوط تلك السياسة. وتتلخص أسئلة الدارسة في الآتي:

-ما أثر سياسة الناصر في تحقيق مفهوم استقلال مؤسسة الخلافة العباسية؟

-كيف استطاع الناصر لدين الله مواجهة تغلل الحاشية (كبار موظفي الدولة)؟

-ما هي الآليات التي ابتدعها لتحقيق هدفه في استعادة دوره المحوري بصفته خليفة صاحب قرار في دولته؟

-لماذا حرص الناصر على إشهار مراسيم تولية كبار موظفي دولته؟

ولأجل بيان ذلك، سنتناول الموضوع عبر المحاور الآتية

-التعريف بشخصية الخليفة الناصر لدين الله.

-آلية اختيار كبار موظفي الدولة.

-الشروط الواجب توافرها بالمرشحين للوظائف العليا.

-صدور عهود التولية ومضامينه.

-الخَلع على كبار موظفي الدولة.

- انتقال المُعيّن إلى مقر عمله.

-العهد لولاة الأقاليم.

-العزل من الوظيفة.

وقد اتّبع الباحث في إعداد الدراسة المنهج التاريخي القائم على تتبع الروايات التاريخية في المصادر الأصيلة في فترة الدراسة ثُمَّ تحليلها، اعتمادًا على مهارات: التّفسير، والنّقد، والاستنباط، واستخدم الباحث هذه المهارت في تحليل عناصر البحث، كل ذلك لأجل الوصول إلى رسم صورة واضحة لآليات اختيار أصحاب الوظائف العليا في دولة الخليفة الناصر لدين الله.

التعريف بشخصية الخليفة الناصر لدين الله

هو أبو العباس أحمد الناصر لدين الله بن المستضيء بأمر الله أبي محمد الحسن بن المستنجد بالله أبي عبدالله بن المستظهر بالله أبي العباس بن المظفر يوسف بن المقتفي أبي العباس محمد بن المقتدر، ينتهي نسبه بالعباس بن عبد المطلب (ابن الكازروني ١٩٧٠: ص٢٤٢). كانت ولادته في رجب سنة ٥٥٣هـ/١١٥٨م (سبط ابن الجوزي ١٩٥١: ج٨، ق٢: ص٦٣٥).

خطب للناصر بولاية العهد قبل موت والده بقليل، ويعود سبب تأخر توليته العهد إلى الصراع والتنافس بين رجال الحاشية في بلاط الخلافة. فقد كانوا منقسمين إلى فريقين: الأول يدعم الأمير أبا العباس (الناصر)، والفريق الآخر يدعم شقيقه الأمير

أبا منصور[١] يظهر ذلك واضحًا في رواية الذهبي: "كان المستضيء قد تخوَّف من ولده أبي العباس أحمد، فاعتقله ومال إلى أخيه أبي منصور، وكان ابن العطار[٢] وأكثر الدولة مع أبي منصور، وحظيّة المستضيء بنفشة[٣] والمجد بن الصاحب[٤] ونفر يسير مع أبي العباس"[٥].

ومع ذلك استطاع ابن الصاحب وبمعونة السيدة بنفشة - صاحبة الحظوة عند الخليفة المستضيء- ترجيح كفة أبي العباس. بويع الناصر لدين الله البيعة الخاصة صبيحة ليلة وفاة والده المستضيء في مستهل ذي القعدة سنة ٥٧٥هـ/ ١١٧٩م (ابن الأثير ٢٠١٠: ج٩، ص٤٤٢).

وبعد أن استقرَّ له الأمر ببغداد، بعث الناصر برسله إلى ملوك الأطراف مبشرين بخلافته، وطالبًا البيعة منهم، فكان صلاح الدين الأيوبي أول من استجاب له، فقد أرسل الشيخ شهاب الدين الشهرزوري[٦] رسولًا إلى بغداد، فاتفق وصوله مع وفاة الخليفة المستضيء، وبعد أن قدَّم واجب العزاء حضر إلى الديوان وبايع الخليفة الجديد (أبو شامة ١٩٧٤م: ص١٥)، وبادر صلاح الدين بعد علمه بالخبر بالخطبة للخليفة الناصر لدين الله في جميع بلاده (ابن واصل ١٩٥٧:ج٢: ص٩٠). كما أرسل الناصر رسلا إلى همذان[٧] (الغساني ١٩٧٥: ص ١٧٥)، والموصل (سبط ابن الجوزي: ١٩٥٢، ج٨، ق١: ص٣٥٥) للغاية نفسها.

(١) لم نعثر له على ترجمة.

(٢) ظهير الدين أبو بكر منصور بن العطار، ولي للمستضيء عدة ولايات منها الوزارة، وكان متحكمًا في الأمور، يولي من يشاء ويعزل من يشاء، وكان شديدًا على الشيعة، توفي سنة ٥٧٥هـ. (الذهبي، ١٩٨٥: ج٢١: ص٨٤).

(٣) بنفشة جارية الخليفة المستضيء بأمر الله، وكان كثير الميل إليها، والمحبة لها، وكانت كثيرة المعروف والإحسان والصدقة. توفيت سنة ٥٩٨هـ/ ١٢٠١م. (ابن الأثير ٢٠١٠: ج١٠، ص١٨٧).

(٤) هو مجد الدين هبة الله بن علي بن هبة الله بن الصاحب، كان شيعيًا، ولِّي حجابة الباب في أيام المستنجد، وولاه المستضيء المنصب نفسه، وأقره الناصر في منصبه. ارتفعت مكانته في أوائل أيام الناصر، بقي على ذلك إلى أن تخلص الخليفة منه سنة ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م. (ابن الأثير ٢٠١٠: ج١٠: ص١٦٤).

(٥) الذهبي ٢٠٠٣: ج١٣، ص٦٨٦.

(٦) ضياء الدين أبو الفضائل القاسم بن يحيى ابن الشهرزوري قاضي القضاة الشام في عهد صلاح الدين الأيوبي، وبعد وفاة صلاح الدين استقر ببغداد، فولي بها القضاء والمدارس والأوقاف وارتفع شأنه عند الناصر لدين الله. الذهبي (د ت): ج٣، ص١٢٦).

(٧) إحدى مدن منطقة الجبال على مقربة من أصفهان. (ياقوت، ١٩٩٥: ج٥، ص٤١٠).

حكم الناصر قرابة سبع وأربعين سنة (الإربلي ١٩٦٤ : ص ٢٨٢)، وهو بذلك أطول خلفاء بني العباس حكمًا. وكان خلال هذه المدة متحكمًا في أمور الخلافة، يباشر الأمور بنفسه (الذهبي (د.ت):ج٣، ص١٨٦). واستمر على ذلك إلى أن تُوفي ليلة الأحد أول شوال من سنة ٦٢٢هـ / ١٢٢٥م (سبط ابن الجوزي ١٩٥١: ج٨، ق٢: ص٦٣٥؛ ابن الكازروني ١٩٧٠: ص٢٤٧). وكان سبب وفاته حصًا في المثانة أحدث له عسرًا في البول (أبو الفداء ١٩٩٧:ج٢ ص٢٣٢؛ ابن الوردي ١٩٩٦: ج٢، ص١٤).

وصفَ الذهبي الخليفة الناصر لدين الله بقوله:" وكان النّاصرُ لدين اللهَّ قد ملأ القلوبَ هيبة وخيفة. فكان يَرْهَبُه أهلُ الهند ومصر كما يَرْهَبُهُ أهلُ بغدادَ، فأحيا هيبةَ الخِلافة وكانت قد ماتت بموت المعتصم، ثُمَّ ماتت بموته. ولقد كُنْتُ بمصر والشام في خلواتِ الملوكِ والأكابرِ، فإذا جرى ذكره، خفضوا أصواتهم هيبة وإجلالًا" (الذهبي ٢٠٠٣: ج١٣، ص٨٨٦).

آلية اختيار كبار موظفي الدولة

على الرغم من استقلالية الخلافة العباسية في هذه الحقبة من سيطرة المتغلبين السلاجقة، فإنَّ دار الخلافة ظلَّت تعاني من بعض آثار الماضي، ونقصد بذلك تدخل الحاشية وكبار رجال الدولة في صلاحياتها، فقد كانت مصالح هؤلاء تتعارض في أحيان كثيرة مع رغبة الخليفة في إدارة دولته بكامل الحرية والإرادة. كان الثلاثي الخطير الذي اصطدمت به رغبات الخلفاء الاستقلالية يتكون من: الوزير وقائد الجند وأستاذ الدار[١]، وقد دفع الخليفة المستنجد بالله (ت٥٦٦هـ/ ١١٧٠م)، حياته ثمنًا عندما أراد التصدي لنفوذ أستاذ الدار عضد الدين أبو الفرج بن رئيس الرؤساء[٢]، والأمير قطب الدين قايماز المقتفوي[٣]، بتعيينه لوزير قوي هو أبو جعفر أحمد بن

(١) أستاذ الدار من المناصب الإدارية التي ظهرت في بغداد منذ منتصف القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي. وصاحبها مسؤول عن رعاية دار الخلافة العباسية وصيانتها، وتوفير ما يلزم ساكنيها من أسرة الخليفة. ومع مرور الزمن تطورت مهام أستاذ الدار، فقام إضافة إلى رعاية دار الخلافة بالسفارة للخلفاء واستقبال الوفود القادمة إلى ديوان دار الخلافة (القدحات ٢٠٠٦، ص١١٨ وما بعدها).

(٢) تولَّى الوزارة في خلافة المستضيء، إلا أنَّ الخليفة عزله منها سنة ٥٦٧هـ / ١١٧١م بضغط من قيماز، ثم أعيد إليها مرة أخرى. وفي ٥٧٣هـ/ ١١٧٧م عزم على الحج فاعترضه كهل بحجة طلب حاجة، فطعنه فمات من فوره. ابن الأثير ٢٠١٠: ج٩، ص٤٣٢.

(٣) كان مملوكًا للخليفة المستنجد، ولما تولى المستضيء علا شأنه حتى غدا قائد الجند، ولكن كانت نهايته أن توفي هاربًا في طريقه للموصل سنة ٥٧٠هـ/ ١١٧٤م. ابن الجوزي ١٩٩٢: ج١٨، ص٢١٧.

محمد [١] بن سعيد ابن البلدي[٢] محاولًا من خلاله الحد من نفوذهما، وقد دفع ذلك بأستاذ الدار وقيماز إلى الإتفاق على التصدي لمحولة الخليفة، فاتفقا على إنهاء حياته، فأدخلاه الحمام بحجة مرضه، وأغلقا الباب حتى توفي الخليفة مخنوقًا، ثُمَّ ألحقا الوزير ابن البلدي بسيده، بعد أن اتفقا على إسناد الخلافة لابن المستنجد أبي محمد الحسن المستضيء بأمر الله، وكبلوه بشروط جعلته عاجزًا عن الحركة والتصرف، فقد شرطًا أن يكون عضد الدين وزيرًا، وابنه كمال الدين أستاذ الدار، وقطب الدين قيماز أميرًا للجند (ابن الأثير ٢٠١٠: ج٩: ص ص٣٥٧-٣٥٨).

عايش الناصر تدخلات الحاشية وعانى منها منذ أن كان أميرًا ثُمَّ وليًا للعهد، فقد كان شاهدًا على ازدياد نفوذ قائد الجيش قطب الدين قيماز والذي أجبر والده الخليفة المستضيء على عزل الوزير عضد الدين ابن رئيس الرؤساء سنة ٥٦٧هـ/ ١١٧١م، وأكثر من ذلك فقد تمادى قطب الدين في التضييق على ظهير الدين ابن العطار الذي خلف ابن رئيس الرؤساء في الوزارة حتى أنه هاجم داره وأحرقها، فالتجأ الوزير إلى دار الخلافة. لم يكن أمام المستضيء إلا الاستعانة بالعامة التي كانت تبغض قيماز، فهاجمته مما اضطره إلى الهرب من بغداد، ولقي حتفه وهو في طريقه إلى الموصل (ابن الأثير ٢٠١٠: ج٩، ص٤١٣).

توفي المستضيء سنة ٥٧٥هـ/ ١١٧٩م وتولَّى ابنه الناصر، وكان الصراع بين أقوى رجلين في دولته من جملة التركة التي حملها وأثقلت كاهله، لم يكن أمامه خيار إلا الإبقاء عليهم مجبرًا، وقد أفضى الصراع إلى أن يُصفّي أستاذ الدار مجد الدين ابن الصاحب الوزير ابن العطار، بل ويهينه حتى بعد وفاته (ابن الطقطقى ١٩٦٦: ص٣٠٧، ص٣٠٩)، هذا الموقف جعل الناصر يتخذ سياسة تدريجية للتخلص من ابن الصاحب، فما أن حانت الفرصة حتى أصدر أوامره بقتله (ابن الأثير ٢٠١٠: ج١٠، ص٤٥).

يظهر أنَّ تلك المعطيات كانت حاضرة في ذهن الناصر، التي كان لها أثرها الواضح في سياسته، وكجزء من خطته استحدث الناصر جهازًا استخباراتيًا استطاع بوساطته فرض نفوذه وهيبته، ليس فقط على رجال دولته

---

(١) أوضح ابن الأثير السبب في تعيين الخليفة لابن البلدي وزيرًا:" فأحضره الخليفة واستوزره، وكان عضد الدين أبو الفرج ابن رئيس الرؤساء قد تحكَّم تحكمًا عظيمًا، فتقدم الخليفة إلى ابن البلدي بكف يده وأيدي أهله وأصحابه، ففعل ذلك". (ابن الآثير ٢٠١٠: ج٩، ص٣٣٤).

(٢) وزير المستنجد بالله، لما تُوفي المستنجد وبويع المستضيء عُزل وعُيِّن مكانه محمد بن عبدالله ابن رئيس الرؤساء، الذي انتقم من ابن البلدي وقتله. وكان في وزارته قد قطع أنف امرأة ويد رجل لجناية جرت، فسلم إلى أولئك، فقطعوا أنفه ثم يده، ثم ضرب بالسيوف، وألقي في دجلة في ربيع الآخر (الذهبي ٢٠٠٣: ج١٢، ص٣٤٨).

ببغداد، بل فرضها على العراق والأطراف والأقاليم التابعة له، حتى وصفه المؤرخون بشيء من التعجب، يقول ابن واصل – وهو معاصر للخليفة الناصر: " وكان له أصحاب أخبار في العراق وسائرِ الأطراف يطالعونه بجزئيات الأمور وكلياتها، فكان لا يخفى عليه من الأمور إلا ما قلَّ" (ابن واصل ١٩٥٧م: ج٤، ص١٦٣). وأضاف الذهبي في هذا المجال أنه لما دخل رسول صاحب مازندران[1] بغداد كانت تأتيه ورقةُ كُلّ صباح بما عَمِلَ في اللّيل، فصار يُبالغ في التّكتُّم، والورقة تأتيه، فاختلى ليلةً بامرأةٍ دخلت من باب السِّرِّ، فصبّحته الورقة بذلك، فتحيَّر، وخرج من بغداد وهُوَ لا يشكّ أنّ الخليفة يَعْلَمُ الغيب؛ لأنَّ الإمامية يعتقدون أنّ الإمام المعصوم يعلم ما في بطن الحامل، وما وراء الجدار" (الذهبي ٢٠٠٣: ج١٣، ص٦٨٨). وقد كان لقوة جهازه الاستخباراتي أن غير المطلعين على بواطن الآمور إلى القول إن النّاصر كان مخدومًا من الجنّ (الذهبي ٢٠٠٣: ج١٣، ص٦٨٨).

في الوقت نفسه، استفاد الناصر من جهازه الاستخبارتي في اختيار كبار موظفي دولته، والمتتبع لأخبار ذلك يلحظ الدقة والتقصي، وابتداع الناصر آليات وأساليبَ تتناسب مع المرحلة (السيوطي ١٩٩٧م: ص٥٣٠؛ فوزي ١٩٨٩م: ص١١)، ومن تلك الوسائل أنَّ الناصر كان إذا رغب في تولية شخص، أشاع ذلك من خلال رجال مخابراته، فتكثر الأقاويل فيه بين أصدقائه وأعدائه، فيكتب له أصحاب الأخبار بذلك كله، وبناءً على ذلك يوازن بين الآراء، فيختار الشخص أو يتركه (ابن الطقطقى ١٩٦٦: ص٣٩).

وفوق ذلك كله، نجده مترويًا وحذرًا في الاختيار، وهذا ما نلمسه في اختياره لوزرائه، فقد تسلَّم منصب الوزارة في عهده أربعة عشر رجلًا، لكن لم يمارس مهام الوزير الكاملة منهم إلا أربعة والباقي اكتفى بأن أسند إليهم منصب نائب وزارة [2] فكانت سياسته في تعيين الوزراء إخضاعهم لفترة تجربة، فمن صَـلُحَ حاله رُقيّ إلى منصب الوزارة، ومن عجز نُحيَّ عنها (مجهول ١٩٩٧: ص٢٢٣؛ القزاز ١٩٧٣: ص١١١)، وقد عبّر ابن جبير عن حال الوزارة في عهد الناصر عندما زار بغداد سنة ٥٨٠هـ/ ١١٨٤م فقد أشار بكل وضوح إلى محدودية صلاحياته، التي لا

(١) بعد الزاى نون ساكنة، ودال مهملة، وراء، وآخره نون: اسم لولاية طبرستان. ابن عبد الحق ١٤١٢هـ: ج٣، ص١٢١٩.

(٢) تعود أول إشارة إلى ظهور هذا المنصب إلى عام (٣٢٧هـ/ ٩٣٨م)، حيث استوزر الراضي بالله أبا الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات عامل الخراج في مصر والشام، فأناب عنه في الوزارة ببغداد عبد الله بن علي النفري، مسكويه ٢٠٠٠م: ج٦: ص١٧. للمزيد حول هذا المنصب، انظر: الزهراني ١٩٨٦، ص١٣٥ وما بعدها).

تتعدى تنفيذ الأوامر "إنما له خديم يُعرف بنائب الوزارة" (ابن جبير١٩٨١: ص١٨١).

والملاحظ أنَّ الخليفة الناصر لم يحصر تولي المناصب على أهل العراق، ومن ثمَّ كانت سياسته تهدف إلى الاستعانة بمن ثبتت أهليته في الإدارة وأصول الحكم بغض النظر عن موطنه، وهو بذلك يطبق مبدأ وحدة الأمة، وأنه خليفة للمسلمين كافة، ومن أمثلة ذلك قصة استخدام مؤيد الدين محمد بن القمي(١) في الإدارة، فعلى الرغم من أنه ليس من أهل بغداد، فإنَّ سمعته وقدراته الإدارية سبقته إلى بغداد، فما إن وصل القمي إليها رسولًا من حاكم خراسان، حتى أشار الوزير على الخليفة بأنَّ يبقيه في حضرته، بعد أن أوضح له ما يتمتع به القمي من قدرات إدارية وكتابية. اقتنع الخليفة برأي وزيره، فأمر بأن لا يُمكّن من العودة إلى مرسله، وبعد مدة ولاه الخليفة كتابة الإنشاء، ثُمَّ الوزارة(ابن الطقطقى ١٩٦٦: ص٣٢٧-٣٢٨).

وهناك خطة تكاد تكون متقدمة على عصر الناصر، قائمة على إعداد موظفي الدولة المستقبليين وتأهيلهم، فقد كان ديوان الخليفة يراقب من يتوسم فيهم النباهة، فيحضون برعية خاصة ومتابعة: جاء في ترجمة سعيد بن علي بن حديدة " لم يزل ملحوظًا بعين الإكرام، مشمولًا من الديوان -مجده الله- بسوابغ الإنعام إلى أن اقتضت الآراء الشريفة الناصرية -أسماها الله وأجلّها- تأهيله للوزارة، فاستدعي من داره..." (ابن الدُّبيثي ٢٠٠٦م: ج٣، ص٣٤٣). وكانت خبرة سليمان بن أرسلان بن شاويش سببًا ليُولّيه الخليفة الناصر " خُبره وسنه" (ابن الدُّبيثي ٢٠٠٦م: ج٣، ص٣٥٥). وللسبب عينه ثمَّ تولَّى عماد الدين يحيى بن المرتضى بن يوسف الحلي صدرية المخزن والذي كان يتولى نظر الكوفة " لما ظهرت كفايته، استدعي، ورُتِّب صدرًا بالمخزن"(ابن الفوطي، (١٩٦٢-١٩٦٥م): ج٤، ص٨٨٢).

وقد جَهِدَ الخليفة الناصر في ضبط مهام رجال دولته، فلم تعد الأمور على ما كانت عليها من قبل، فأبعد بعضهم عن دار الخلافة، كما في حال الوزير، فقد أنشأ دارًا للوزارة خارج دار الخلافة، وحدد الناصر لوزرائه أوقاتًا وآليات للتواصل مع ديوانه، منها أنه اختار رجلًا يثق به ليكون صلة الوصل مع الوزير، فكان عون الدين ظفر بن عبد الله الحبشي يحمل رسائل الخليفة إلى الوزير، ثُمَّ يعود بالجواب (ابن الفوطي

(١) قمّي الأصل والمولد، بغداديّ المنشأ والوفاة، كان بصيرًا بأمور الملك، خبيرًا بأدوات الرّئاسة، عالمًا بالقوانين عارفًا باصطلاح الدّواوين، خبيرًا بالحساب، وكان في ابتداء أمره قد تعلَّق بخدمة سلاطين العجم، وكان يلوذ ببعض وزراء العجم بأصفهان في حال صباه ولم يبلغ العشرين من عمره: جاء إلى بغداد رسولًا فأعجب به وزير الناصر فاستبقاه، ثم رق به الحال إلى أن تولى الوزارة للناصر. ابن الطقطقى ١٩٦٦، ص٣٢٧-٣٢٨.

١٩٦٢: ج٤، ق٢، ص٩٧٨)، وكذلك سعد الدين محمد بن جلدك الذي كان يتولى حمل مطالعات الخليفة الناصر إلى وزرائه (مجهول ١٩٩٧: ص٢٨). أمَّا الوزير فكان يعرض مطالعاته على الخليفة " في كيس إبرسيم أسود مختوم" يحمله أحد مماليكه الذي يسمح له بدخول دار الخلافة راكبًا، وبعد اطلاع الخليفة على كتب الوزير، يبرز جوابه، ويبلغ الوزير بذلك بالطريقة عينها التي جاءت بها (مجهول ١٩٩٧: ص٢٢٦). وكان هناك موعد اعتيادي يلتقي فيه الوزير بالخليفة بعد انتهاء صلاة الجمعة في كل أسبوع (مجهول ١٩٩٧: ص٢٢٣).

إنّ تدابير الخليفة الناصر في اختيار كبار رجالات دولته أسهمت إلى حدٍّ كبير في اختفاء ظاهرة توارث المناصب، بل أضحت الخبرة والكفاية عوامل الترجيح في الاختيار، فقد كان الوزير جلال الدين أبو المظفر عبيدالله – أول وزراء الناصر لدين الله – أحد الشهود العدول[1]، ثُمَّ ترقى في سلك الوظيفة، فأثبتَ أهليته فرُقيَّ إلى منصب الوزراء (ابن الطقطقى ١٩٦٦: ص٣٢٣)، وكذلك مؤيّد الدين محمّد ابن أحمد بن القصّاب من أسرة متواضعة، كان أبوه يبيع اللحم ببغداد، إلا أنه كان صاحب همة عالية فأكبّ على العلم، حتى برع في علوم الحساب والمساحات والمقاسات، ثُمَّ تبصّر بأسباب الوزارة (ابن الطقطقى ١٩٦٦: ص٣٢٤).

تشدد الناصر مع موظفيه، فقد أخضعهم للمراقبة من خلال عيونه ورجال مخابراته، في الوقت نفسه كان يُضمّن عهد التولية وصايا يجب على من يتولى أمر من أمور الدولة مراعاتها " لا ينبغي لأرباب هذا المقام أن يُقَدِمُوا على أمر لم ينظروا في عاقبته، فإنَّ النظرَ قبل الإقدام خيرٌ من الندم بعد الفوات... ولا يُطالب بالأموال من لم يَخُنْ في الأعمال، فإنّ المصادرة مكافأة للظالمين، وليكن العفاف والتقى رقيبين عليك" (الذهبي ٢٠٠٣: ج١٣، ص٨٨٦).

كان الولاء المطلق للخليفة على رأس الشروط التي يجب أن تتوافر في المرشحين للوظائف العليا، ولما كانت وظيفة أستاذ الدار من أهم وظائف دار الخلافة، فلم تعد وظيفته مجرد الإشراف على رعاية دار الخلافة العباسية وصيانتها، وتوفير ما يلزم ساكنيها من أسرة الخليفة، بل تعدت إلى المشاركة في الحياة السياسية، وقد أشرنا سالفًا إلى خطورة ابن الصاحب في سنوات حكم الخليفة الناصر الأولى (القدحات، ٢٠٠٦: ص١١٨)، وكان هذا يتعارض مع سياسة الخليفة الناصر الاستقلالية، لذلك نجده يحرص على

(١) الشهود العدول: من الوظائف الدينية التابعة للقضاء، وحقيقة هذه الوظيفة القيام عن إذن القاضي بالشهادة بين الناس فيما لهم وعليهم من حقوق محملًا عند الأشهاد وأداء عند التنازع، وكتبًا في السجلات تحفظ به حقوق الناس وأموالهم. الأنباري، ١٩٨٧، ص٢٨٤.

حسن اختيار متولي هذه الوظيفة، فكان شرطه الأول بالمرشح الطاعة والولاء، فهو ضمن الفئة القليلة القريبة من مجلس الخليفة، لذلك لم يولِّ هذا المنصب إلا من خَبِرَه الخليفة في وظائف أخرى أثبت بوساطتها ولاءه للخليفة، مضاف إليه الخبرة التي اكتسبها من وظائفه السابقة، فكان أبو نصر المبارك بن الضحاك يتولى النظر بديوان الجوالي[١] قبل أن يوليه الناصر منصب أستاذ الدار(مجهول ١٩٩٧: ص١٨٦)، أمَّا يحيى بن زبادة فكان يتولى النظر بديواني البصرة وواسط، قبل توليه المنصب، وبقي فيه حتى سنة ٥٨٥هـ / ١١٨٩م (ابن خلكان ١٩٧٦: ج٦، ص٢٤٥).

وكان هناك قواعد وأصول ثابتة في العمل الإدراي، فإذا شغر منصب بسبب الوفاة أو العزل، فإنَّ الخليفة يسند إدارة شؤونها مؤقتًا إلى أحد كبار رجال الدولة لحين تعيين من يشغله، فبعد أن قبض الناصر لدين الله على وزيره نصير الدين بن مهدي العلوي سنة ٦٠٤هـ/ ١٢٠٧م فوَّض أمر الوزارة إلى كاتب ديوان الإنشاء في ديوان الوزير محمد بن القمي، إلى أن ولّاه الخليفة بعد ذلك نيابة الوزارة (سبط ابن الجوزي ١٩٥١: ج٨، ق٢، ص٥٣٣).

ومن قواعد النظام الإداري في عهد الخليفة الناصر أيضًا أنه في حالة سفر أحد كبار موظفي الدولة في مهمة رسمية، فلا بد أن يُنيب عنه شخصًا يتولى مهامه لحين عودته (ابن الدبيثي ٢٠٠٦: ج١، ص٥١٣)، فكان أحمد بن محمد علي بن القصاب ينوب عن والده في الوزارة في حال سفر الأخير (ابن الدبيثي ٢٠٠٦: ج٢، ص٣٧٠)، وجاء في حوادث سنة (٥٧٩هـ/ ١١٨٣م)، أنّ الخليفة الناصر لدين الله أرسل شيخ الشيوخ بسفارة إلى دمشق، فقام شيخ الشيوخ باستخلاف ابنه الأكبر ناصر الدين لحين عودته (الأيوبي ١٩٦٨: ص١٣٢).

إضافة إلى كل ما سبق، كان لكل وظيفة شروطٌ خاصة تتناسب مع طبيعتها، ولما كان رجال القضاء يمثلون ركنًا أساسيًّا من أركان الإدارة في الدولة العباسية، لذا أولت الخلافة اهتمامًا بالغًا في اختيار قاضي القضاة الذي يتولى الإشراف على جهاز القضاء[٢]. فكان الانتساب للمذهب الشافعي شرطًا لتولي هذا المنصب [٣].

(١) الجوالي: جمع جالية، وهي الجزية التي تؤخذ على رقاب أهل الذمة على رأس كل عام. (القلقشندي (د ت) ج١: ص٤٦٢).

(٢) للمزيد حول ظهور منصب قاضي القضاة وتطوره في العصر العباسي، انظر: (الأنباري ١٩٨٧).

(٣) يقول السيوطي:" كان الخلفاء يولون القاضي المقيم في بلدهم القضاء وبجميع الأقاليم والبلاد التي تحت ملكهم، ثم ينيب القاضي من تحت أمره من شاء في كل إقليم وفي كل بلد، وبهذا يلقب بقاضي القضاة". (السيوطي ١٩٩٧: ص٤٧٧).

أما نقيب الأشراف [١] فهناك عدد من الشروط يجب أن تتوافر في المرشح لهذا المنصب، نلمس ذلك من أحد عهود تولية نقباء الأشراف: "حين وجده – الخليفة–مرضي الخلائق، سوي الطرائق، محمود السجايا والشيم، متمسكًا من الديانة بأمتن سبب وأوثق معتصم.... متحليًّا من التقى والورع بأحسن لباس، قد فاق بكفايته الأكفاء وبرع، واستشرف إلى محامد الخلال ومحاسن الخصال كل مطلع"(ابن الساعي ٢٠١٠: ج٩، ص١٩٧).

صدور عهود التولية

كان صدور عهد التولية علامة تؤهل صاحبها لممارسة عمله الجديد، فلا يحقُّ لأحد مهما علت مرتبته مزاولة عمله قبل صدور أمر الخليفة، حتى وإن شُرّف بالتولية (ابن الدبيثي ٢٠٠٦: ج٣، ص٢٨١). يتولى كتابة عهد التولية كاتب الإنشاء بديوان الخلافة، ويمضيه الخليفة، ويُختم بخَاتمه، فقد أورد ابن الساعي نسخة من أحد العهود، ومما جاء فيه: "عرض هذا العهد بمقار العزّ المُقدّس وشريف العرض، ومحاتم الطاعة على أهل الأرض، حضرة سيدنا ومولانا الإمام المفترض الطاعة على سائر الأنام الناصر لدين الله أمير المؤمنين ظاهر الله سلطانه، وأعلى بإعلاء كلمته كلمة الحق وشأنه، فشرفه بالتتويج والإمضاء، وأوضح فيه من المراشد كل محجة بيضاء" (ابن الساعي ٢٠١٠: ج٩، ص٢٠٣).

وهنا لا بد من التأكيد على أنَّ عهود التولية ظلت منوطة بالخلفاء حتى في أحلك أحوالهم، وهي الصلاحية التي أبقاها لهم إياها المتغلبون، مستفيدين منها في شرعنة حكمهم، وقد أكَّد على ذلك الصابئ بقوله:" لا يصح عقد القضاء وتوليته إلا من الخليفة" (الصابئ ١٩٦٤: ص١٢٥).

وحفظ ابن الطقطقى نص تولية الناصر لدين الله لوزيره محمد القمي، ويلاحظ من خلاله تركيز الخليفة على دور الوزير في إدارة شؤون الدولة، لذا نجده يقرن طاعة الوزير بطاعة الخلفية، التي قرنها بطاعة الله: "محمد بن برز القمي نائبنا في البلاد والعباد، فمن أطاعه فقد أطاعنا، ومن أطاعنا فقد أطاع الله ". وعلّق ابن الطقطقى على أهمية هذا العهد في علو مكانة

(١) الأشراف: هم الذين ينتسبون إلى بيت النبي، ويطلق عليهم أهل البيت، ومنذ القرن الرابع الهجري حُدِّد هذا اللقب بالطالبيين (العلويين)، والعباسيين (الهاشميين). ومن أجل رعايتهم وحماية مصالحهم: جعلت لهم الدولة نقابة خاصة، عرّفها الماوردي بقوله: "وهي موضوعة على صيانة ذوي الأنساب الشريفة عن ولاية من لا يكافئهم بالنسب، ولا يساويهم في الشرف، ليكون عليهم أحبى، وأمره فيهم أمضى". (الماوردي ١٩٨٩، ص١٥٤-١٥٥)، وكان الفرعان يخضعان في البداية لنقيب واحد، حتى نهاية القرن الرابع الهجري، إذ صار لكل فريق نقيب خاص. (الدوري ١٩٤٥، ص٢٤٨).

القمي: "فنبُل القمي بهذا التوقيع في عيون الناس، وجلّت مكانته وقامت له الهيبة في الصدور" (ابن الطقطقى ١٩٦٦: ص١٥٣).

وكان العهد يتضمن المهام المنوطة بصاحب الوظيفة، والسياسة التي يجب عليه انتهاجها في تحقيق مصالح الدولة والرعية، نلمس ذلك من عهد الخليفة الناصر لنقيب نقباء العلويين أبي الحسن فخر الدين محمد بن المختار الكوفي سنة ٦٠٣هـ/ ١٢٠٦م، فقد حدد العهد جملة المهام التي يجب على النقيب رعايتها فيما يخصُّ العلويين سواء في بغداد وغيرها من مدن دار الخلافة، فبعد " أن وجده مرضي الأخلاق، متمسكًا بالديانة، وأنه قلَّده نقابة الأسرة العلوية بمدينة السلام، وسائر بلاد الإسلام شرقًا وغربًا وبعدًا وقربًا" (ابن الساعي ٢٠١٠: ج٩، ص١٩٧)، ثُمَّ فصَّل السياسة التي رسمها الخليفة الناصر للنقيب الجديد في عمله من خلال المرسوم، فقد أمره:

- أن يتفقد أحوال العلويين، يكرمهم ويقوم على حاجاتهم، في الوقت نفسه يعاقب من خرج عن النهج.
- أن يتكفل أمر اليتامى وينفق عليهم بالمعروف، فإذا بلغوا الحلم سلَّم إليهم أموالهم.
- النظر في أمر الأيامى، وتزويجهن من الأَكْفَاء.
- صون النسب، والتصدي لمدعيه بالتأديب.

وجاء في عهد الخليفة الناصر أمرٌ بتولية دانيال بن العازر بن هبة الله رأس مَثيبة لليهود (زعامة طائفة اليهود)، سنة ٦٠٥هـ/ ١٢٠٧م، وكانت الأسباب التي دفعت الخليفة لتعيينه، لما " يتحلّى به عند أهل نحلته ويتصف به واستحقاقه" (ابن الساعي ٢٠١٠: ج٩، ص٢٦١-٢٦٢).

كما حدد العهد صلاحيات رأس مثيبة اليهود وحدود عمله، فإنَّ نفوذه يسري على جميع طوائف اليهود في العراق وبلاد خراسان وسبأ اليمن وبلاد ما بين النهرين وجميع اليهود في العالم الإسلامي (ابن الساعي ٢٠١٠: ج٩، ص٢٦١-٢٦٢)، وأن يختار للجاليات في المدن المختلفة قضاتها بعد أن يأتوا إلى بغداد(مجهول ١٩٩٧: ص٢٧٠).

وكانت المخصَّصات المالية للموظف من جملة ما يأتي به العهد، وهذا ما نجده واضحًا في عهد تولية أحمد بن مسعود التركستاني التدريس بمدرسة مشهد أبي حنيفة سنة ٦٠٤هـ/ ١٢٠٧م، فقد تضمن ما خُصِّص له من العين والنقد: " والمفروض له عن هذه الخدمة في كل شهر من الحنطة كيل البيع ثلاثون قفيزًا[1] وعشرة دنانير". (ابن الساعي ٢٠١٠: ج٩، ص٢٣٣).

---

(١) القفيز في العراق يعادل ٤٥ كغم قمح. (هنتس ١٩٧٠، ص٦٦).

خِلْعَة التولية

كانت الخِلْعَة[١] تمثل ختام عملية التولية، وقد استُحدثت مؤسسة إدارية عُرفت بـ "دار التشريفات" (ابن الفوطي ١٩٦٢: ج٤، ق١، ص١٩٠-١٩١)، مهمتها الإشراف على كل الترتيبات والمناسبات الرسمية التي تقع في دار الخلافة العباسية بما فيها مراسيم وترتيبات التولية لكبار الموظفين والقادة العسكريين.

ولا بد من التوضيح أنَّ مراسيم الخلع لم تكن تجري كلها في دار الخلافة، بل اقتصر الخلع فيها على أصحاب ثلاث وظائف: الوزير، وقائد الجند، وأمير الحج، فقد خُصِّص مكان قريب من مجلس الخليفة يجري فيه الخلع عليهم بـ "باب الحجرة"[٢]، أمَّا البقية، فكان الخلع عليهم يجري في دار الوزارة.

وإذا فصلنا الحديث، فبعد وقوع الاختيار على الشخص المرشح لمنصب الوزارة، ينتقل بموكب برفقة كبار رجالات الدولة إلى دار الخلافة، ثُمَّ يتوجَّه بصحبة أستاذ الدار إلى باب الحجرة الشريفة (ابن الدبيثي ٢٠٠٦: ج١، ص٣٧٤)، ثم يدخل للسلام على الخليفة، وبعدها يُسلَّم عهد توليته، ويُخلع عليه الخلعة، فيتنحى إلى دهليز يلبسها، ففي عام ٥٩٠هـ/ ١١٩٣م صدر أمر الخليفة بتولية محمد بن علي بن القصاب الوزارة " مَثُلَ بباب الحجرة الشريفة، وشُرِّف بخلع جميلة، ولبس خلعة الوزارة... بمحضر من أرباب المناصب والولايات، وأنطي المركوب اللائق بهذه الولاية، وسُلِّم إليه عهده" (الغساني ١٩٧٥: ص٤٤٨-٤٤٩).

وحال الانتهاء من تولية الوزير، فإنه يغادر دار الخلافة راكبًا وجميع حُجّاب وحاشية دار الخلافة في خدمته إلى أن يصل إلى منتهى الدهليز الأول من دار الخلافة (ابن الدبيثي ٢٠٠٦: ج١، ص١٣؛ مجهول ١٩٩٧: ص٢٢٤)، ثُمَّ يسير والأمراء مشاة بين يديه، وخلفه ألوية الحمد[٣] والكوسات[٤]، وعهد التولية

---

(١) كانت الخِلعة من مكملات تولية كبار رجال الدولة والخلعة: ما يخلعه الخليفة أو الملك أو الأمير أو غير هؤلاء من الأعيان من الثياب على أحد من الناس، سواء في مناسبات رسمية، أو مناسبات خاصة كالاحتفالات. (السامرائي ١٩٨٦، ص١٩).

(٢) أُنشئ في عهد الخليفة المسترشد بالله (ت٥٢٩هـ/ ١١٣٤م). (ياقوت الحموي ١٩٩٢: ج١، ص٤٢، ص٣٠٧).

(٣) لم نجد وصفًا دقيقًا له في المصادر باستثناء بعض الإشارت. منها ما جاء في وصف خلعة الخليفة القائم بأمر الله على السلطان ركن الدولة السلجوقي:"وأمر الخليفة له بثلاثة ألوية: أحدها لواء الحمد أسود مكتوب بالذهب والآخران أحمران به بقعة صفراء. وكتب له عهد بولاية الدنيا بأسرها وخوطب فيه بـ "شاهنشاه ملك المشرق والمغرب". (ابن العمراني ٢٠٠١ م، ص١٩٢).

(٤) الكوس: الطبل. معرب كوست. وهي طاولة كبيرة نظير الكوبة، يدق فيها في أثناء الحرب. (أدي شير١٩٨٠م، ص١٤٠).

منشور أمامه (ابن الجوزي ١٩٩٥: ج١٧، ص٢٧٢؛ الذهبي ٢٠٠٣: ج١٣، ص٩)، إلى أن يصل إلى الديوان ويجلس في دست[١] الوزارة، حيث يكون في استقباله كبار أرباب الوظائف الديوانية. يدخل الوزير، ويجلس في الدست يتلقى التهاني من الحاضرين (ابن الدبيثي ٢٠٠٦: ج١، ص٥١٣)، ثُمَّ يتقدم الشعراء بقصائد المدح والتهنئة (سبط ابن الجوزي ١٩٥١: ج٨، ق١، ص٢٨٣).

وكانت الرسوم تقتضي أن يكتب الوزير إنهاءً (خطابا) للخليفة يتضمن شكر الإنعام عليه بالمنصب (ابن الدبيثي ٢٠٠٦: ج١، ص٣٧٤: ج٣، ص٣٤٣)، يتولى حاجب باب الحجرة الشريفة إيصاله إلى الخليفة (ابن الدبيثي ٢٠٠٦: ج١، ص٥١٣). ثم ينتظر الجمع جواب الخليفة بالقبول (ابن الدبيثي ٢٠٠٦: ج١، ص٥١٣: ج٢، ص٣٤٩)، فيقرأه الوزير والجميع وقوفًا (مجهول ١٩٩٧: ص٥٦). ومما جاء في رد الخليفة المستعصم ٦٤٠هـ -٦٥٦هـ/ ١٢٤٢-١٢٥٨م على إنهاء الوزير ابن العلقمي بعد أن ولّاه الوزارة:" وُقِفَ على خدمتك المشتملة على دعاء تواليه، وإنهاءً تعيد الإخلاص فيه وتبديه، وعُلِمَ ما ذكرته، وعُرِفَ ما أردته، رزقك الله تعالى توفيقًا بتمسكٍ بحبله وهديه إلى طريق الإرشاد وسبله، بكرمه وفضله" (مجهول ١٩٩٧: ص٢٢٥).

(١) الدست: صدر المجلس. (أدي شير ١٩٨٠، ص٦٣).

ومن مكملات تولية الوزير، الإنعام عليه باللقب الذي يظهر فيه من الصفات ما يدل على مكانته، فلمَّا عين الخليفة الناصر وزيره أحمد بن الناقد أمر أن يُخاطَب بالخطاب نفسه الذي كان يُخاطِب به سلفه الوزير ناصر الدين بن مهدي" المولى الوزير الأعظم الصاحب المعظم، العالم المؤيد، المجاهد المظفّر نصير الدين، صدر الإسلام، غرس الأنام، عضد الدولة، بقية الأمة، عماد الملك، اختيار الخلافة المعظمة، محيي الإمامة المكرمة، تاج الملوك، سيد صدور العالمين، ملك وزراء الشرق والغرب، غياث الورى، أبو الأزهر أحمد بن محمد بن علي بن الناقد، ظهير أمير المؤمنين ووليه المخلص"(الغساني ١٩٧٥: ص٤٤٩-٤٥٠). ولُقِّبَ سعيد بن حَديدة (ت٦٠١هـ/ ١٢٠٤م) بـ:"معز الدين" (ابن الدبيثي، ٢٠٠٦: ج٣، ص٣٤٣؛ سبط ابن الجوزي ١٩٥١: ج٨، ق٢، ص٥٦٨)، وكان لقب الوزير عبيد الله بن يونس" جلال الدين"(الغساني ١٩٧٥: ص٢٠٢).

وأمَّا الشخص الثاني الذي تجري مراسيم توليته بدار الخلافة فهو **أمير الحج**، إذ كان يتولى إمرة الحج في هذه الحقبة أحد كبار الأمراء الأتراك[٢] أصحاب الحظوة عند الخليفة. فإذا حلّ شهر ذي القعدة استُدعيَ

٢) كانت سنة ٤٧٩هـ بداية تولي الأمراء المماليك الأتراك لإمرة الحج، وكان الأمير ختلغ التركي أول من تسلم هذا المنصب. (ابن الجوزي ١٩٩٥: ج١٦، ص٢٦٢).

أمير الحاج إلى دار الخلافة (الذهبي ٢٠٠٣: ج١٢، ص٤٧٥)، فيحظى بلقاء الخليفة، والذي يشافهه بالولاية، ثُمَّ يغادر المجلس، ويتجه إلى باب الحجرة، فيُكسى كسوة أمير الحج، ويُقدم له فرس عربي بِعُدةٍ كاملةٍ ومركب من الذهب (الغساني ١٩٩٧: ص٥٢٧)، كما يُعطى أحمالًا من الكوس[١] التي يحتاجها في موسم الحج لغايات تنبيه الحاج نزولًا أو رحيلًا (ابن الجوزي ١٩٩٥: ج١٧، ص١٦٤؛ مجهول ١٩٩٧: ص٦٨).

ويعد قائد **الجند (الجيش)** الشخص الثالث الذي تجري مراسيم تعيينه بدار الخلافة. يتميز تعيين كبار القادة العسكريين" أصحاب الجيوش وولاة الحروب" بأنَّ مراسيم تعيينهم غلُب عليها الطابع الاحتفالي العسكري، فلما عيَّن الأمير مجاهد الدين أبو الميامن أيبك الخاص المستنصري سنة ٦٣٤هـ/ ١٢٣٦م خلع عليه بدار الخلافة، وقُدِّم له فرس عربي بعدة كاملة، تمييزًا له عن غيره من الأمراء، وسُمِحَ له بالركوب من باب الأتراك[٢]، ورُفِعَ وراءه أربعة عشر سيفًا محلَّى بالذهب، وبعد أن استقر في داره، أُرسِلَ إليه من ديوان الأبنية الطبول برسم طبل النوبة في الصلوات الثلاث (الغساني ١٩٩٧: ص٤٧٥-٤٧٦).

تتكون خِلعة قادة الجيش من: " قباء[٣] أطلس بعلمين كبار، وشربوش[٤]"(ابن الساعي ٢٠١٠: ج٩، ص٢٥٨-٢٥٩؛ الغساني ١٩٧٥: ص٥٤٩-٥٥٠)، إضافة إلى العمامة الكحلية (ابن الساعي ٢٠١٠: ج٩، ص٢٥٨-٢٥٩). أما مركوبه فيكون ركابه ذهبًا، ويُعطى كذلك طوقًا وغاشية[٥] حمراء[٦]، ويُرفع وراءه سيفان (الغساني ١٩٩٧: ص٥٨٧)، ثُمَّ يُرسل له من المخزن الدربشات[٧] والسيوف والحراب (الغساني ١٩٧٥: ص٥٥٠، ص٥٨٧).

---

(١) الكوس: الطبل فارسي معرّب. (أدي شير ١٩٨٠: ص١٤٠).

(٢) أحد أبواب السور الداخلي الذي يمتد بين سور دار الخلافة الخارجي ودار الخلافة نفسها. (مجهول ١٩٩٧: ص٧٥، هامش ٢).

(٣) القباء من ملابس البدن الخارجي، ويُلبس فوق الثياب. دوزي ١٩٧١، ص٢٨٥-٢٩٠.

(٤) الشربوش: قلنسوة طويلة، معربة عن سربوش، أي غطاء الرأس. أدي شير ١٩٨٠: ص٩٩.

(٥) نسيج مزخرف ومزركش، يحمل مبسوطًا، أما الفرس فقد أُعطي له تكريما له. ابن الفوطي ١٩٦٢: ج٤، ق٢، ص١٠٢٤، هامش٢. تعليق المحقق).

(٦) أشار إلى مثل ذلك الغساني عند حديثه عن تولية الأمير مجاهد الدين أيبك الدويدار الصغير الإمارة سنة ٦٥٠هـ. (الغساني ١٩٧٥: ص٥٨٧).

(٧) الدربشات: رماح صغيرة من الحديد. (ابن الفوطي ١٩٦٢: ج٤، ق٢، ص١٠٢٤، هامش ١. تعليق المحقق).

أما بقية كبار موظفي الدولة فكانت ترتيبات تعيينهم تجري في دار الوزارة، حيث يُستدعى الموظف إلى دار الوزارة، ويشافهه الوزير بالتولية، ومن هؤلاء **قاضي القضاة**، يسلمه الوزير عهد التعيين بعد أن يقرأ بعضه أمام من حضر[1] (ابن الساعي ٢٠١٠: ج٩، ص٣١٥)، ثُمَّ تُحضر له الخلعة الخاصة بقاضي القضاة. فلما قُلّد أحمد بن علي البخاري سنة ٥٩٩هـ/ ١٢٠٢م منصب قاضي القضاة، خلع عليه "خلعة سوداء وطرحة كحلية"(ابن الساعي ٢٠١٠: ج٩، ص١١٩)، وفي سنة ٦٠٣هـ/ ١٢٠٦م قُلِّد المنصب عبدالله بن الحسين بن أحمد الدامغاني " فخلع عليه الخلعة السوداء والعمامة والطرحة الكحلية" (ابن الدبيثي ٢٠٠٦: ج٣، ص٤٥١)، ثُمَّ يقدم له مركوب، بغلة بعُدة كاملة (ابن الجوزي ١٩٩٥: ج١٧، ص٢٩١؛ الغساني ١٩٧٥: ص٤٧٣، ص٥٠٥).

وبعد استكمال مراسيم التولية، يغادر قاضي القضاة إلى جامع القصر[2] برفقة عدد من كبار من رجالات الدولة إضافةً إلى الفقهاء والعلماء، وبناءً على تكليف مسبق، يقوم أحد العلماء بصعود المنبر وقراءة نص عهد التولية (ابن الدبيثي ٢٠٠٦: ج٣، ص٤٥١؛ ج٤، ص٤٥٢)، ثُمَّ يتوجه قاضي القضاة إلى الدار المخصصة لإقامته (ابن الساعي ٢٠١٠: ج٩، ص١٠٧)، وكان أول ما يقوم به كتابة خطابًا إلى الخليفة يظهر فيه غبطته وشكره (مجهول ١٩٩٧: ص٣٥٢).

وكانت تجري لنقباء الأشراف المراسيم نفسها من الخلع والتولية، إذ يُستدعى النقيب الجديد إلى دار الوزارة، وبحضور كبار رجال الدولة: كقاضي القضاة، وأستاذ الدار، وحاجب الباب والمحتسب، يشافهه الوزير بالتولية، ويُقرأ عهده، ثُمَّ يخلع عليه خِلعة النقابة (الغساني ١٩٩٧: ص٤٥١-٤٥٢، ص٤٨٠). وعند حضور النقيب المُعيّن إلى دار الوزارة يكون برفقة كبار الأشراف وعامتهم للاحتفال بهذه المناسبة، فإذا خرج وعليه الخِلعة، عادوا معه إلى منزله بموكب والعهد منشور بين يديه (ابن الدبيثي ٢٠٠٦: ج٣، ص١١٤).

---

(١) انظر نص عهد تولية الناصر لدين الله لقاضي القضاة محيي الدين ابن فضلان. (القلقشندي (د ت): ج١٠، ص٢٩٥-٣٠١).

(٢) يُنسب هذا الجامع إلى القصر المعروف بالحسني الذي اتخذه الخلفاء العباسيون منذ عهد المعتضد (٢٧٩-٢٨٩هـ)، مقرًا رسميًا لهم. وكان موضع الجامع مطامير (سجون) فأمر الخليفة المكتفي (٢٨٩-٢٩٥هـ)، بهدمها وشيّد مكانها مسجدًا جامعًا يصلي به الناس، ثم صار هذا = المسجد الجامع الرسمي للدولة. الخطيب البغدادي (د.ت): ج١، ص١٠٩، ص١٤٥)، وانظر تفصيل الحديث عن المراحل التي مرَّ بها الجامع حتى العصر الحديث في هامش. (مجهول ١٩٩٧: ص٣٦-٣٧).

ومن مكملات تولية نقيب الأشراف تشريفه باللقب، فكان " الطاهر" هو اللقب الذي يطلق عليه (مجهول ١٩٩٧: ص١٤٨؛ ابن الدبيثي ٢٠٠٦: ج٢، ص٦٧: ج٣، ص١١٤)، وفي الوقت نفسه كان نقيب الأشراف ببغداد هو المسؤول عن ترشيح نقباء المدن داخل العراق وخارجه (ابن الطقطقي ١٩٦٦: ص٣٢٥)، والذين يُستدعون إلى دار الوزارة ببغداد للخلع عليهم وإتمام عملية التولية (مجهول ١٩٩٧: ص٢٧٢).

ولما كانت وظيفة **المحتسب** من الوظائف الدينية في الدولة العباسية، لذلك نجده يشارك أقرانه أرباب الوظائف الدينية في مراسيم التولية، فلما وُلِّيَ أبو محمد يوسف بن عبدالرحمن ابن الجوزي منصب الحسبة ببغداد سنة ٦٠٤هـ/ ١٢٠٧م حضر إلى دار الوزارة، فخلع عليه: أهبة سوداء[١] وطرحة كحلية أحضرت من المخزن (ابن الساعي ٢٠١٠: ج٩، ص٢٣٠).

وأولى الخليفة الناصر **منصب شيخ الشيوخ**[٢] اهتمامًا كبيرًا، فقد أراد من دعم شيخ الشيوخ وإبراز أهميته، الاستفادة من تأثيره الكبير في فئة واسعة من المجتمع ونقصد بهم المتصوفة، في ظل الانتشار الواسع لظاهرة التصوف في العالم الإسلام، لذلك نجد حرصًا واضحًا من مؤسسة الخلافة في اختيار من يتولى المنصب، فكان يُختار من بين كبار مشايخ الصوفية ببغداد. يتوجه شيخ الشيوخ المُعيّن إلى دار الوزارة، يشافهه الوزير بالتولية، ثُمَّ يخلع عليه خلعة التولية والتشريف (مجهول ١٩٩٧: ص٢٢٨)، ثم يخرج شيخ الشيوخ بصحبته كبار الصوفية إلى مقر إقامته وعمله في رباط زمرد خاتون[٣] والدة الخليفة الناصر لدين الله، فيقام احتفال تحييه الصوفية، ثُمَّ يختم الأمر بالدعاء للخليفة (ابن الدبيثي ٢٠٠٦، ج٢، ص٢٢٨).

وشارك **المدرسون** لا سيما مدرسو المدرستين النظامية والمستنصرية كبار رجال الدولة في مراسيم الخلع والتولية، لا سيما إذا علمنا أنَّ مهنة التدريس كانت تُسند لكبار علماء العصر، فغدا منصب التدريس في تلك المدارس منصبًا مرموقًا ترنو إليه أعين الكثير من العلماء، حتى إنَّ بعضهم غيّر مذهبه ليحظى به كالوجيه أبو بكر المبارك بن أبي الأزهر[٤] الواسطي

(١) الأهبة: البزة، وهي اللباس الرسمي. يقول السامرائي: "وهذا استعمال عباسي. ذلك لأنَّ حقيقة الأهبة السلاح التام". السامرائي ١٩٨٧: ص٣٠).

(٢) شيخ الشيوخ: لقب يطلق على متولي الإشراف على الطرق الصوفية ومنتسبيها، واللقب يشير إلى وظيفة رسمية، فقد ذكر ابن الأثير أنه بعد وفاة شيخ الشيوخ إسماعيل بن أبي سعيد في أيام المستنجد سنة ٥٤١ه، صار بعده ابنه صدر الدين عبد الرحيم شيخ الشيوخ. (ابن الأثير ٢٠١٠: ج٩، ص٣٤٤-٣٤١)، (القلقشندي (د ت): ج١١، ص٣٦٤-٣٦٥؛ المقريزي ١٢٧٠هـ: ج٢، ص٤١٤).

(٣) أنشأته السيدة زمرد خاتون والدة الخليفة الناصر سنة ٥٧٩هـ ويعرف برباط المأمونية بالجانب الغربي من بغداد. (ابن الدبيثي ٢٠٠٦: ج٣، ص٤٩٨-٤٩٩).

(٤) من أهل واسط، قَدِم بغداد مع أبيه في صباه فأقام بها إلى أن مات في شعبان سنة ٦١٢هـ ودفن بالوردية. (ياقوت ١٩٩٢: ج٥، ص٢٢٦٦).

الضرير النحوي الذي تحوَّل من المذهب الحنفي إلى الشافعي؛ لأنَّ شرط الواقف أن لا يتولى أي منصب من مناصبها من هو على غير المذهب الشافعي (أبو شامة ١٩٧٤، ص١٠؛ ابن خلكان ١٩٧٦: ج٤: صص١٥٢-١٥٣)، كما تحوّل عمر بن عبدالله بن أبي السعادات (ت٦٠١هـ/ ١٢٠٤م)، من المذهب الحنبلي إلى المذهب الشافعي للغاية نفسها (ابن الدبيثي ٢٠٠٦: ج٤، ص٣٤٢).

ويظهر من خلال ما تناولته المصادر لموضوع تولية المدرس أنَّ الاختيار كان يقع من قبل كبار العلماء وقاضي القضاة والذين يُنسِبون لديوان الخليفة بمن يرونه مؤهلًا للوظيفة. وعند الشروع في تعيين المدرس، فإنه يسير برفقة بعض رجال الدولة والقضاة والفقهاء إلى دار الوزارة، فيخاطبه الوزير بالتولية، ويُخلع عليه، ويُسلّمه عهده (ابن الساعي ٢٠١٠: ج٩، ص٢٣١؛ ابن ابي عذيبة ٢٠٠٦، ص١٥٦). ثم يسير المدرس إلى مدرسته، حيث يكون في استقباله المدرسون وعدد من الفقهاء على اختلاف مذاهبهم، ويقام احتفال يُفتتح الاحتفال بقراءة الختمة، ثُمَّ يعظ أحد الوعاظ (مجهول ١٩٩٧: ص٤٥-٤٦). وإذا ما أنهى الدّرس، أُلقيت الخطب والقصائد ترحيبًا به وثناءً عليه (أمين، ١٩٦٠، ص٤٣-٤٤).

أما ولاة المدن فلا تختلف مراسيم تعيينهم عن مراسيم تولية القادة العسكريين، خصوصًا إذا علمنا أنَّ أغلبهم كانوا من أصحاب الرتب والوظائف العسكرية؛ لذا كان الطابع العسكري هو الغالب على ترتيبات التولية، والخلاف فقط في طبيعة الخِلعة ومهام التولية، فيُستدعى الأمير المُعيّن إلى دار الوزارة، فيخاطبه الوزير بالتولية، ويسلمه عهده، ثُمَّ تفاض عليه خلعة التشريف(الغساني ١٩٩٧: ص٥٥٠).

تتكون خلعة حكام المدن وزعمائها من القباء الأسود والشربوش، إضافة للعمامة الكحلية اللون، فلما وُلِّيَ الأمير فخر الدين أيبك الأنباري بلاد اللحف[1] "خُلِع عليه القباء الأسود، والعمامة الكحلية، وقُلِّد سيفًا محلّى بالذهب، وأُمطي فرسًا بمركب ذهب، وكنبوشًا إبرسيمًا، ومشدّة في عنق الفرس، وأعطي كوسات" (ابن الساعي ٢٠١٠: ج٩، ص٢٧٨؛ ابن الفوطي ١٩٦٢: ج٤، ق٣، ص٣٤). كذلك عندما وليّ طغرل الخاص البصرة سنة ٥٧٩هـ/ ١١٨٣م خلع عليه القباء الأسود والعمامة (الأيوبي ١٩٦٨، ص١١٨؛ الغساني ١٩٩٧: ص٥٧٥).

ونال زعماء الطوائف الدينية من غير المسلمين رعاية الدولة والتي كانت جزءًا من الرعاية التي منحها الخليفة الناصر لأهل الذمة، فقد منحهم حرية العبادة، كما منحهم حق اختيار من يتولى رعاية أمورهم الخاصة، لكن كل ذلك تحت إشراف دار الخلافة

(١) بلاد اللِحف: من نواحي بغداد، سمي بذلك؛ لأنَّه في لحف جبال همذان. (ياقوت ١٩٩٢: ج٧، ص١٧٦).

ورعايتها، لا سيما في مسألة اختيار زعمائهم الروحيين. يرأس طائفة النصارى المقيمين ببلاد الإسلام "الجاثليق" وهو اسم لكل من يتولى رئاسة الطائفة، يكون تعيينه بالانتخاب من قبل المطارنة، إذ يعقدون اجتماعًا للتشاور في أمر من يتولى الجثليقة (ماري (د. ت)، ص٨٦). وبعد الإجماع على شخص معين، يكتبون خطوطهم بالموافقة علـى سجل خاص يسمونـه الشلموت (ماري (د. ت)، ص١٥٧)، ثُمَّ يخرج موكب الأساقفة إلى ديوان الوزارة. ويُنصب الشخص المختار بعهد خلافي. يعود الموكب إلى كنيسة درب دينار بسوق الثلاثاء، حيث يُقرأ عهد تولية الجاثليق، ثُمَّ تقام الصلوات وتقرأ فصول من الإنجيل (ماري (د. ت)، ص١١١، ص١٥٤).

أما زعيم الطائفة اليهودية، فقد زوَّدنا الرحالة اليهودي بنيامين التطيلي بمعلومات وافية عن تعينه. يعرف زعيم طائفة اليهود بـ" رأس المَثيبة" أو " رأس الجالوت". يشترط في رأس الجالوت أن يكون من نسل داود -عليه السلام -ويسميه المسلمون "ابن سيدنا داود "؛ لأنَّ في يده وثيقة تثبت نسبه، وعادة ما يكون من المتقنين للعلوم والآداب (مجهول ١٩٩٧: ص٢٧٠).

كانت العادة أن يجري احتفال كبير بمناسبة تعيين رأس الجالوت، فبعد صدور قرار التعيين، يسير رأس مثيبة اليهود المُعيّن إلى قصر الخليفة ومعه أعيان طائفته، حاملًا معه الهدايا للخليفة. وعند وصوله يَمثُل بين يدي الخليفة، فيسلم عهده، ثُمَّ يضعه على رأسهن ومن ثُمَّ يعود إلى بيته وحوله من أبناء ملّته يحتفلون به ويسيرون معه إلى بيته تصحبه البوقات والطبول (التطيلي ١٩٤٥: ص١٣٨).

ولكن في عهد الخليفة الناصر لدين الله صارت مراسيم تعيينه عند قاضي القضاة، فبعد مشافهة الوزير رأس مثيبة اليهود بالولاية يسلمه عهد التعيين، الذي يقوم بدوره بتقبيله ويضعه في كُمِّه، ثُمَّ يمضي راجلًا بصحبة أحد حُجّاب الديوان إلى مجلس قاضي القضاة لإتمام مراسيم التولية (الغساني ١٩٧٥: ص٥٦١)، ثُمَّ ينهض رأس مثيبة اليهود إلى دهليز ويلبس طرحته، ويتوجه إلى بيته راجلًا في جمع من اليهود وجماعة من أتباع الديوان (مجهول ١٩٩٧: ص٢٧٠).

انتقال المُعيّن إلى مقر عمله

بعد انتهاء مراسيم الخلع، ينتقل الشخص المُعيّن إلى الدار المخصَّصة لعمله، وعلى رأس هؤلاء الوزير، فقد أشار الصابئ أنَّ للوزير دارًا مفردة يمارس من خلالها عمله (الصابئ، ١٩٦٤، ص١١١)، وقد تقلبت الأحوال بهذه الدار فزالت مع زوال الوزارة في زمن تغلب البويهيين ٣٣٤-٤٧٧هـ/ ١٠٦٢-٩٣٢ (الصابئ، ١٩٦٤ص٢٦٨). ولما استعادة الوزارة مكانتها في هذه الحقبة، خُصِّص للوزارة دار مقابل

باب النوبي، وظل الوزراء يجلسون بها حتى زوال الخلافة العباسية (سبط ابن الجوزي ١٩٥١: ج٨، ق٢، ص٤٥٠). جاء في ترجمة الوزير محمد بن أحمد ابن أمسنا الذي تولى الوزارة للناصر لدين الله خلفًا لناصر بن مهدي العلوي سنة ٦٠٤هـ/ ١٢٠٧م " ثُمَّ حوِّل ابن مهدي من دار الوزارة المقابلة لباب النوبي المحروس في رجب من هذه السنة ونقل ابن أمسينا إليها" (ابن الدبيثي ٢٠٠٦: ج١، ص٢٢٠).

أما نواب الوزارة فقد خُصّصَ لهم دار في ديوان دار الخلافة غير تلك المخصصة للوزراء. جاء في ترجمة محمد بن عبدالباقي بن عبدالعزيز المعروف بالداريج (ت٥٨٦هـ/ ١١٩٠م) "فوليَّ ابن الداريج نيابة الوزارة، فركب إلى الديوان – مجدّه الله– وجلس حيث يجلس النواب، وأنفذ المراسيم الشريفة"(ابن الدبيثي ٢٠٠٦: ج١، ص٤٤١).

وكذلك الحال بالنسبة لحُجّاب دار الخلافة: حاجب الحُجّاب، وحاجب باب الحجرة الشريفة[١] (سبط ابن الجوزي ١٩٥١: ج٨، ق١، ص٢٣٦)، وحاجب باب النوبي (مجهول ١٩٩٧: ص١٣٠، ص١٧٠)، وحاجب باب المراتب (الغساني ١٩٩٧: ص٥٢٤)، فبعد توليتهم والخلع عليهم بباب الحجرة الشريفة ينتقل كل منهم إلى الدار المخصصة لسكنه. فكانت الدار المخصصة لحاجب الحُجّاب تقع بجوار المدرسة النظامية (ابن الساعي ٢٠١٠: ج٩، ص١٥٠). وكانت دار ابن زاغلي بدرب فراشًا سكنًا لحاجب باب النوبي (ابن الساعي ٢٠١٠: ج٩، ص٢٣٠). أما أستاذ الدار فقد خُصصت له الدار المقابلة لباب الفردوس [٢]. وكان مقر عمل صدر المخزن[٣] بدار ابن رئيس الرؤساء بمحلة المسعودة(ابن الساعي ٢٠١٠: ج٩، ص٢٣٠).

وكان مقر قاضي القضاة عند باب العامة (ابن الساعي ٢٠١٠: ج٩، ص١٠٧). أمَّا المحتسب فكان مقره بباب بدر. جاء في ترجمة الحسين بن محمد بن عبد القاهر الشطنوفي أنه عندما عُيّن محتسبًا" مضى إلى باب

(١) باب الحجرة: موضع بدار الخلافة فيها يخلع على الوزراء، وإليها يحضرون في أيام المواسم للهناء. وأول من أنشأها الخليفة المسترشد. الحموي ١٩٩٢: ج١، ص٣٠٧.

(٢) باب الفردوس: هو أحد أبواب دار الخلافة ببغداد. (ياقوت ١٩٩٥: ج٤، ص٢٤٨).

(٣) كان المخزن في الأصل تابعًا لديوان بيت المال، ويتكون من عدة خزائن تضم جميع دخل الحكومة، مثل خزانة الملابس، وخزانة النقود وغيرها. ولهذا كان له ديوان يضبط أمر جميع مفردات دخل الدولة، ثم تطور وضع المخزن، فلم يعد تابعًا لبيت المال الذي اختفى اسمه في الفترة المتأخرة من عمر الدولة العباسية. والمهم في الأمر أن المخزن كما أصبح له اسمه الخاص هو (المخزن) ورئيس خاص اسمه "صاحب المخزن" الذي كانت له سطوة تفوق سطوة الوزير. للمزيد انظر: (فهد ١٩٧٣: ص٢٨٥-٢٩٦).

بدر الذي جرت العادة في قعود المحتسبين" (ابن الدبيثي ٢٠٠٦: ج٣، ص١٩٥). وكانت الدّكة التي يجلس عليها بباب بدر تعرف بدكة الدلوية (الغساني ١٩٩٧: ص٥٢٩).

العهد لولاة الأقاليم

لم يكن حُكَّام الأقاليم ولاة للخليفة العباسية في هذه المرحلة من عمر الخلافة العباسية كما كان الوضع في بداية حكم بني العباس، بل كانوا يمارسون سلطاتهم بعيدًا عن أي تدخل من لدن الخلافة العباسية لاسيما في فترة ضعفها، إلا أنَّ تطورًا حدث في طبيعة العلاقة بين أولئك الحكام والخلفاء العباسيين المتأخرين الذين حاولوا النهوض بالخلافة من جديد منذ عهد الخليفة المقتفي، وتوج الأمر في عهد الخليفة الناصر لدين الله، فقد استطاع الناصر أن يعيد مكانة الخلافة في نفوس حكام الأقاليم وأهلها، بل وصل الأمر إلى حرص حكام تلك الأقاليم إلى طلب التقليد من لدن الخليفة، لا سيما حكام بلاد الشام، والذين أعلنوا منذ اللحظة الأولى التبعية للخليفة ببغداد، وأنَّ الدور العسكري الذي يقومون به هو بأمر الخلافة ونيابة عنه.

كان قَطْعُ الخطبة للعاضد آخر خلفاء الفاطميين في مصر سنة ٥٦٧هـ/ ١١٧١م وإقامتها للخليفة العباسي المستضيء بأمر الله (ابن الأثير ٢٠١٠: ج٩، ص٣٦٦)، قد أعاد الوحدة المذهبية للعالم الإسلامي في الشرق، وتمَّ هذا "دون أن ينتطح فيه عنزان" (ابن الأثير ٢٠١٠: ج٩، ص٣٦٥). لذلك وبعد أن أُرسلت البشارة بذلك إلى بغداد، ردّ الخليفة المستضيء بإصدار التولية والتقليد لنور الدين على مصر والشام، كما خلع عليه وعلى صلاح الدين (ابن الأثير ٢٠١٠: ج٩، ص٣٦٧).

حرص ولاة الأقاليم من السلاطين والملوك في الحصول على عهد التولية من الخليفة العباسي، لاعتبارات عديدة، أهمها إضفاء الشرعية على حكمهم. قابلت الخلافة العباسية هذا الحرص باهتمام بالغ، فكان الخليفة يرسل التقليد والخلع مع كبار رجال دولته، فبعد أن بويع الخليفة الناصر توجَّهت الرسل إلى النواحي بإقامة البيعة للناصر لدين الله (الأيوبي ١٩٦٨: ص٥-٦؛ الذهبي ٢٠٠٣: ج١٢، ص٤٧٥)، فقد أُرسل شيخ الشيوخ صدر الدين إلى البهلوان صاحب همذان والري، وأُرسل رضي الدين القزويني مدرس النظامية إلى الموصل (ابن الأثير ٢٠١٠: ج٩، ص٤٤٣). كذلك لما بويع للظاهر بأمر الله، أرسل الخليفة محيي الدين يوسف ابن الجوزي بالخلع والتقليد إلى كل من: المعظم، والكامل، والأشرف، حكام مصر والشام (الذهبي ٢٠٠٣: ج١٣، ص٦٣٧).

كانت الخلعة التي ترسل مع التقليد تعني موافقة الخليفة على تقليد السلطان في بلاده. وتتكون من: عمامة سوداء ورداء فضفاض -عباءة -أسود مُبطَّن، مُوشَّى بالذهب، وسيف مُحلَّى بالذهب، له حمائل مُوشَّاة أيضًا، ثُمَّ يأتي الحملان، وهو حصان عليه سرج مُزيَّن (سبط ابن الجوزي ١٩٥١: ج٨، ق٢، ص٧٥٥). ويُعرف هذا بالتشريف الأسود (المقريزي، ١٩٥٦: ج١، ق١، ص٤٢٥)، ويُسمَّى أيضًا التشريف الإمامي (الصابئ ١٩٦٤: ص ٩٣). يرسله الخليفة مع أكابر رجال الدولة، فبعد أن بويع الخليفة الناصر لدين الله أرسل التشريف وعهد التولية إلى السلطان صلاح الدين الأيوبي مع شيخ الشيوخ صدر الدين عبدالرحيم وبشير الخادم " فكان يوم وصولهما إلى دمشق كيوم عيد، فتلقاه السلطان بالتعظيم والتبجيل" (الأيوبي ١٩٦٨: ص٥١).

وكان الرسم المعمول به أن يرسلَ العهد والخِلعة معًا. جاء في حوادث سنة ٦٣٧هـ/ ١٢٣٩م أنه وصل إلى بغداد رسول من صاحب اليمن، وذكر أن رجلًا زعم أنه هاشمي، وقال بأنه رسول من ديوان الخلافة، ولتأكيد زعمه أظهر أنه يحمل خلعة من الخليفة، فأنكر عليه صاحب اليمن، وخاطبه:" عادة الديوان إذا شرّف سلطانًا بخلعة ينفذ له تقليدًا بالبلاد لتكون ولايته شرعية..." (مجهول ١٩٩٧: ص١٥٢). يتضمن عهد التولية الأوامر التي يحض الخليفةُ السلطانَ على الالتزام بها من رعاية أمر الدين وإقامة شرائعه. جاء في عهد تولية صلاح الدين: "ولما كان الملك الأجل السيد صلاح الدين ناصر الإسلام، عماد الدولة: جمال الملة، فخر الأمة، صفي الخلافة... أمره بتقوى الله، وأمره أن يتخذ القرآن دليلًا، وأمره بمحافظة الصلاة وحضور الجماعات، ولزوم نزاهة الحرمات، وأمره بالإحسان وإظهار العدل"(الذهبي ٢٠٠٣: ج١٢، ص٤٧٨).

هُناك زيادة على الخلع المتعارف عليها كانت تُزاد لأصحاب الفتوح من القُوَّاد وهي طوق والسوار من الذهب (أبو شامة ١٩٩٥: ج٣، ص٦٦)، وقد خُصّ بذلك سلاطين بني أيُّوب، ففي عام ٥٦٧هـ/ ١١٧١م وصل الأستاذ عماد الدين صندل الطواشي رسولًا من الخليفة المستضيء إلى دمشق من دار الخلافة في جواب البشارة بإعادة الخطبة للعباسيين بمصر ومعه الخلع والتشريف لنور الدين وصلاح الدين، وكان من ضمن ذلك الطوق (الذهبي ٢٠٠٣: ج١٢، ص٢٢٧). وفي سنة ٥٩٩هـ/ ١٢٠٣م أرسل الخليفة الناصر الخلع إلى الملك العادل وأولاده فلبسوها (أبو شامة ١٩٧٤: ص٣٣). أمَّا في عام (٦٠٤هـ/ ١٢٠٧م)، فقد وصل إلى بغداد من دمشق قاضي عسكر الشَّام ابن المعمودي رسولًا من الملك العادل، وتسلَّم الخلع للعادل وأولاده، وكان في خلعة العادل الطَّوق والسواران (ابن تغري بردي ١٩٣٢: ج٦، ص٣٤٦)، وأرسل

معهم الشيخ شهاب الدَّين السهروردي رسولًا لحمل الخلعة (فهد ١٩٧٣: ص٣٧-٣٨).

تبدأ احتفالات السلاطين بالخلعة وعهد التولية بمجرد وصول رسول الخليفة، الذي يقوم بدوره بوضع التشريف على كتفي السلطان بعد قراءة التقليد، فيلبسه السلطان ويسير به في شوارع بلده وبين خواصَّه (ابن واصل ١٩٥٧: ج٥، ص٣٥٠)، ففي عام٥٧٩هـ/ ١١٨٣م وبعد أن وصل العهد والتشريف من بغداد ركب صلاح الدين بموكبه "وعليه الملابس النبوية والتشريفات الإمامية" (الأيوبي ١٩٦٨: ص٥١). وفي عام ٦٠٤هـ/ ١٢٠٨م وصل تشريف من الخليفة النّاصر إلى السُّلطان العادل، وإلى أولاده ووزيره "فركب العادل وولداه ووزيره بالتشريفات إلى ظاهر البلد، ثُمَّ عادوا إلى القلعة (المقريزي ١٩٥٦: ج١، ق١، ص٤٢٥).

بعد وصول رسول الخلافة حامل التشريف والخلع إلى السلطان، يبادر السلطان بدوره بكتابة خطاب يتضمن الشكر على الإنعام. أورد الأيوبي نصًّا من ذلك وهو ما كتبه صلاح الدين الأيوبي ردًّا على تشريف الخليفة الناصر لدين الله له"... وما أسعده وقد خصه برسالة الجانب المحروس الصدري شيخ الشيوخ شرقًا وغربًا، وسفارته التي زادها استبشاره سفورًا، وأمد استظهاره واستنصاره قوة وظهورًا... وإن كان قد تناهى في العبودية إلى مدى لا مزيد عليه لمستزيد، غير أنه بالوفد الصدري ارتفع قدره، وانشرح صدره" (الأيوبي ١٩٦٨: ص٥١-٥٢).

وعلى جاري العادة في مراسم التولية في الخلافة العباسية، فإنه كلما تولى خليفة جديد كان لا بد من تجديد العهد والخلعة للسلاطين وحكام الأقاليم (الأيوبي ١٩٦٨: ص٥١).

العزل من الوظيفة

في الوقت الذي كانت آلية التعيين تجري وفق رسوم، فإنَّ عملية العزل كذلك كانت تحصل وفق رسوم أيضًا، فعلامة عزل الوزير طبق دواته، ونجد مثال ذلك عندما عزل الوزير ابن رئيس الرؤساء "دخل نجاح الخادم على الوزير ابن رئيس الرؤساء ومعه خط من الخليفة يُذكر أنه قد استغنى عنه، فأمر بطبق دواته، وحلِّ إزاره، وقيامه من مسنده، ففعل ذلك"(ابن الجوزي ١٩٩٥: ج١٨، ص١٩٧؛ الذهبي ٢٠٠٣: ج١٢، ص٢٢٥).

ولما كانت الطرحة الكحلية شعارًا وعلامةً مميِّزة لمتولي المناصب الدينية ببغداد في القرنين السادس والسابع الهجريين (ابن الدبيثي ٢٠٠٦: ج٣، ص٤٥١)، فإنَّ رفعها هو علامة العزل، ففي سنة ٦٠٠هـ/ ١٢٠٣م عزل قاضي القضاة أبو الحسن علي ابن عبدالله بن سلمان الحلِّي تقدم الوزير نصير الدين ناصر بن مهدي العلوي إلى حاجب المجلس برفع

طرحته "فجاذبه ابن سلمان عليها، وقال: هذه ملكي. مالك ولها. فجذبها. وشافهه الوزير بالعزل بمحضر من الحاضرين"(ابن الساعي ٢٠١٠: ج٩، ص١١٩-١٢٠؛ ابن ابي عذيبة ٢٠٠٥: ص١٣٢). وأشار صاحب " كتاب الحوادث" إلى مثل ذلك في حديثه عن عزل محمود بن أحمد الزنجاني من تدريس النظامية " وعزل وتوجه إلى داره بغير طرحة "(مجهول ١٩٩٧: ص١٧).

كما ترفع الطرحة في حال انتقال أصحاب هذه المناب الدينية إلى وظائف ديوانية أخرى. جاء في خبر تولية يوسف ابن الجوزي منصب أستاذية دار الخلافة، نقلًا من منصب قاضي القضاة فرفع طرحته، وانتقل إلى الدار المخصصة لأستاذ الدار (مجهول ١٩٩٧: ص٢٢٦). كذلك لما نقل محمد بن يحيى بن فضلان من التدريس بالنظامية ليعمل بدار التشريفات، رفع طرحته (مجهول ١٩٩٧: ص٩١).

وكان علامة عزل القضاة رفع طيلسانه، فبعد أن ثبتت تهمة الرشوة على القاضي علي بن عبدالله بن سلمان الحلي (ت٦٢١هـ/ ١٢٢٤م)، عقد له مجلس في دار الوزارة، وبمحضر من الفقهاء أمر الوزير برفع طيلسانه (ابن أبي عذيبة ٢٠٠٥: ص١٣٢).

أما أصحاب الوظائف الإدارية الأخرى فكان علامة عزلهم خروج المعزول من الدار التي كان سكنها عند تعيينه، فعندما عُزل فخر الدين أبو سعد المبارك الخُرَّمي صاحب الديوان، أُخرج من داره في المُطبَّق (مجهول ١٩٩٧: ص٢٣٧).

الخاتمـــــة

بعد النجاحات التي حققها الخليفة الناصر بتحرير الخلافة من سيطرة المتغلبين، نلحظ اهتمامه الواضح في إعادة الحياة لدار الخلافة وممارسة كامل صلاحياته. كان أمر تولية كبار موظفي الدولة من أهم تلك الصلاحات التي كانت قد سلبت منهم قرابة الثلاثة قرون. لم يرتض الخليفة الناصر بمجرد الاستقلال السياسي من تدخل الأجنبي، بل كان شديد الحرص في التخلص من تدخلات الحاشية وكبار رجالات الدولة، ولم يتحقق له ذلك إلا بجهد مضن بذله على مدى أول عشرة أعوام من حكمه، بتخلصه من التركة التي ورثها من والده المستضيء، إذ بدأ يطبق سياسته الصارمة في اختيار من سيتولى المناصب العليا في دولته، فالمرحلة تحتاج إلى الأكْفاء من الرجال، في الوقت نفسه عمل على تحجيم نفوذ كبار موظفي دولته، ولعل جهازه الاستخباراتي الذي استحدثه ورعاه قد أسهم في إنجاح سياسته تلك.

كان حرص الناصر على إظهار رسوم تولية كبار رجال دولته، ينبع من الأهمية الإعلامية للحدث، فقد كان عاملًا مهمًا في إعادة هيبة الخلافة في نفوس العامة وتجديد ارتباطهم الروحي بدار الخلافة العباسية

وخلفائها، وتأكيدًا من جهة أخرى على الزعامة الدينية للعالم الإسلامي، خصوصًا أنَّ حكام الأقاليم المستقلة عن الدولة – التي لم يكن يربطها ببغداد غير تبعية اسمية– عادوا من جديد إلى طلب التقليد وخِلع التولية من الخليفة العباسي لإضفاء الشرعية على حكمهم.

كما عكست آليات الاختيار أبعادًا مهمة في سياسة الخليفة الناصر الداخلية، فقد أظهرت مؤسسة الخلافة اهتمامها الواضح بمختلف المكونات الاجتماعية والدينية سواء كانوا مسلمين أو أهل ذمة، فقد أدرك الناصر تعاظم حركة التصوف وانتشارها في العراق، فأراد السيطرة على هذا التيار الواسع وتسخيره لمصلحة الدولة من خلال استحداث منصب شيخ الشيوخ، وتعيين المقربين الموالين في هذا المنصب من زعماء الحركة الصوفية.

وللهدف ذاته كان الاهتمام بالأشراف لا سيما العلويين، فقد شهدت بدايات تولي الناصر الحكم صراعات شديدة بين السنة والشيعة، لذلك كان الناصر حريصًا على اختيار شخصية تجمع بين الاعتدال، والحزم ولها تأثير في اتباعه من العلويين وشيعتهم.

كما أولت الخلافة اهتمامًا بأهل الذمة ومنحهم الحرية في إقامة شعائرهم، واختيار من يرضونه ليكون زعيمًا لطوائفهم: النصارى واليهود.

قائمة المصادر والمراجع

أولًا: المصادر

ابن الأثير، أبو الحسن علي بن محمد الشيباني، *الكامل في التاريخ*، تحقيق عبدالسلام تدمري، ط١، بيروت، دار الكتاب، (٢٠١٠).

ابن الأثير، أبو الحسن علي بن محمد الشيباني، *التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية*، تحقيق عبدالقادر طليمات، القاهرة، دار الكتب الحديثة، (١٩٦٣).

الإربلي، عبدالرحمن سنبط قنيتو، *خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك*، وقف على طبعة وتصحيحه مكي جاسم، بغداد، مكتبة المثنى، (١٩٧٤).

الأيوبي، عمر بن محمد بن شاهنشاه، *مضمار الحقائق وسرّ الخلائق*، تحقيق حسن حبشي، القاهرة، عالم الكتب، (١٩٦٨).

التطيلي، بنيامين بن يونه، *رحلة بنيامين*، ترجمة عزرا حداد، بغداد، المطبعة الشرقية، (١٩٤٥).

ابن تغري بردي: جمال الدين أبو المحاسن، *النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة*، القاهرة، مطبعة دار الكتب، (١٩٣٠).

ابن جبير، أبو الحسن محمد بن أحمد، *الرحلة*، بيروت، مكتبة الهلال، (١٩٨١).

ابن الجوزي، أبو الفرج عبدالرحمن بن علي، *المنتظم في تاريخ الملوك والأمم*، بيروت، دار الكتب العلمية، (١٩٩٥).

الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي، *تاريخ بغداد أو مدينة السلام*، دار الكتاب العربي، بيروت، (د. ت).

ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن أبي بكر، *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان*، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار صادر. (١٩٧٢).

ابن الدُّبيثي، أبو عبدالله محمد بن سعيد، *ذيل تاريخ مدينة السلام بغداد*، تحقيق بشار عواد، بيروت، دار الغرب الإسلامي، (٢٠٠٦).

الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، *تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام*، تحقيق، بشار عواد، ط١، بيروت، دار الغرب الإسلامي، (٢٠٠٣).

الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، *سير أعلام النبلاء*، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرين، ط١، بيروت، مؤسسة الرسالة، (١٩٨٥).

الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، *العبر في أخبار من غبر*، تحقيق محمد بسيوني، بيروت، دار الكتب العلمية، (د. ت).

ابن الساعي، أبو طالب علي بن أنجب البغدادي، *تاريخ ابن الساعي*، تحقيق، محمد عبدالله القدحات، ط١، عمان، دار الفاروق، (٢٠١٠).

سبط ابن الجوزي، يوسف بن قزأوغلي، *مرآة الزمان في تاريخ الأعيان*، ط١، حيدر آباد، الهند، مجلس دائرة المعارف الإسلامية، (١٩٥١-١٩٥٢).

السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر: جلال الدين، *تاريخ الخلفاء*، عني بتحقيقه، إبراهيم صالح، ط١، دمشق، دار البشائر، (١٩٩٧).

السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر: جلال الدين، *حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة*، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية – مطبعة عيسى البابي الحلبي، (١٩٦٧).

أبو شامة، أبو محمد بن عبدالرحمن بن إسماعيل، *تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على الروضتين*، ط٢، صححه الشيخ محمد زاهد الكوثري، بيروت، دار الجيل، (١٩٧٤).

أبو شامة، أبو محمد بن عبدالرحمن بن إسماعيل، *الروضتين في أخبار الدولتين*، تحقيق، إبراهيم الزيبق، ط١، بيروت، مؤسسة الرسالة، (١٩٩٥).

الصابئ، أبو الحسين هلال بن المُحسِّن، *رسوم دار الخلافة*، تحقيق ميخائيل عواد، بغداد، مطبعة العاني، (١٩٦٤).

ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا، *الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية*، بيروت، دار صادر، (١٩٦٦).

ابن عبدالحق، عبدالمؤمن بن عبدالحق، ابن شمائل القطيعي البغدادي، *مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع*، بيروت، دار الجيل، ١٤١٢هـ.

ابن أبي عذيبة، أحمد بن محمد بن عمر المقدسي، *إنسان العيون في مشاهير سادس القرون*، تحقيق إحسان الثامري ومحمد القدحات، ط١، عمّان، دار ورد، (٢٠٠٥).

ابن العمراني، محمد بن علي بن محمد، *الإنباء في تاريخ الخلفاء*، تحقيق، قاسم السامرائي، ط١، دار الآفاق العربية، القاهرة، (٢٠٠١).

الغساني، أبو العباس إسماعيل بن العباس الغساني، *العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك*، تحقيق شاكر عبد المنعم، ط١، بغداد، دار البيان، (١٩٧٥).

أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن عمر شاهنشاه، *تاريخ أبي الفداء*، علَّق عليه محمود ديوب، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، (١٩٩٧).

ابن الفوطي، كمال الدّين عبدالرّزاق بن تاج الدّين، *تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب*، الجزء الرابع في أربعة أقسام، تحقيق مصطفى: جواد، دمشق، المطبعة الهاشمية، (١٩٦٢).

القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي، *صبح الأعشى في صناعة الإنشا*، ط١، شرحه وعلّق عليه محمد شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، (د.ت).

ابن الكازروني، ظهير الدين علي بن محمد بن الكازروني، *مختصر التاريخ من أول الزمان إلى منتهى بني العباس*، تحقيق مصطفى جواد، بغداد، مطبعة الحكومة. (١٩٧٠).

الماوردي، علي بن محمد بن حبيب، *الأحكام السلطانية والولايات الدينية*، تحقيق خالد الجميلي، بغداد، دار الحرية، (١٩٨٩).

مجهول، *كتاب الحوادث*، تحقيق، بشار عواد وعماد عبدالسلام، ط١، بيروت، دار الغرب الإسلامي، (١٩٩٧).

مسكوية، أبو علي أحمد بن محمد الخازن، *تجارب الأمم وتعاقب الهمم*، تحقيق، أبو القاسم إمامي، ط١، طهران، دار شروس، (٢٠٠٠).

المقريزي، أحمد بن علي بن عبدالقادر، *الخطط والآثار في مصر والقاهرة، بولاق*، دار الطباعة، (١٢٧٠هـ).

المقريزي، أحمد بن علي بن عبدالقادر، *السلوك لمعرفة دول الملوك*، تحقيق، محمد مصطفى زيادة، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والنشر، القاهرة، (١٩٥٦).

ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم، *مفرج الكروب في أخبار بني أيوب*، تحقيق: جمال الدين الشيال، القاهرة، المطبعة الأميرية، (١٩٥٧).

ابن الوردي، زين الدين عمر بن مظفر، *تاريخ ابن الوردي*، بيروت، دار الكتب العلمية، (١٩٩٦).

ياقوت الحموي، أبو عبدالله الرومي، *معجم الأدباء*، إعداد أحمد شمس الدين، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية. (١٩٩٢).

ثانيًا: المراجع العربية والمعربة

أدي شير، السيد، *الألفاظ الفارسية المعربة*، بيروت، مكتبة لبنان، (١٩٨٠).

أمين، حسين أمين، *المدرسة المستنصرية*، بغداد، مطبعة شفيق، (١٩٦٠).

الأنباري، عبدالرزاق، *منصب قاضي القضاة في الدولة العباسية منذ نشأته إلى نهاية العصر السلجوقي*، ط١، بيروت، الدار العربية للموسوعات، (١٩٨٧).

الجميلي، حسن، *عصر الخليفة المستنصر بالله*. (رسالة ماجستير غير منشورة: جامعة الموصل، الموصل، ١٩٨٩).

الدوري، عبد العزيز، *دراسات في العصور العباسية المتأخرة*، بغداد، مطبعة السريان، (١٩٤٥).

دوزي، رينهارد، *المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب*، ترجمة أكرم فاضل، بغداد، مطبوعات وزارة الإعلام، (١٩٧١).

فهد، بدري محمد، *تاريخ العراق في العصر العباسي الأخير*، بغداد، مطبعة الإرشاد، (١٩٧٣).

فوزي، فاروق عمر، *الخليفة الداهية الناصر لدين الله*، ط١، بغداد، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، (١٩٨٩).

القزاز، محمد صالح، *الحياة السياسية في العراق في العصر العباسي الأخير*، النجف، مطبعة القضاء، (١٩٧١).

الزهراني، محمد مسفر، *نظام الوزارة في الدولة العباسية (٣٣٤-٥٩٠هـ)*، ط١، بيروت، مؤسسة الرسالة. (١٩٨٦).

السامرائي، إبراهيم، *التكملة للمعاجم العربية من الألفاظ العباسية*، ط١، عمان، دار الفرقان، (١٩٨٦).

السامرائي، إبراهيم، *المجموع اللفيف*. معجم في المواد اللغوية والتاريخية والحضارية، عمان، دار عمار، (١٩٨٧).

ماري، *أخبار بطاركة كرسي المشرق*، بغداد، مكتبة المثنى، (د.ت).

مقدسي، جورج، *خطط بغداد في القرن الخامس الهجري*، بغداد، مطبعة المجمع العلمي العراقي، (١٩٨٤).

هنتس، فالتر، *المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها بالنظام المتري*، ترجمة كامل العسلي، عمّان، منشورات الجامعة الأردنية، (١٩٧٠).

ثالثًا: المجلات العلمية

القدحات، محمد، *"منصب أستاذ الدار في الخلافة العباسية (٣٥٢ -٦٥٦هـ)"*، مجلة (جامعة الملك خالد)، المملكة العربية السعودية، مجلد (٤)، عدد ٧، (٢٠٠٦).

مراد وقادر: جزيل ونزار، *" دور الخلافة العباسية في العلاقات السياسية بين القوى الإسلامية ٥٧٠-٦٠٠هـ/ ١١٧٩-١٢٠٣م"*، مجلة دراسات (العلوم الإنسانية)، الجامعة الأردنية، عمان، مج (٢١)، ع ٥. (٥٩٠- ٦٠٤)، (١٩٩٣).

رابعًا: المراجع الأجنبية

Rashad, Abdul munim. (1963). *The Abbasid Caliphate (575-656HD\1179-125)*, London, University Of London.

Levy, Reuben (1979). *Baghdad Chronicle*, Porcupine Preesm, Philadelphia.